



كانت (حماة) مدينةً آمنةً تعيش حياتها كما تعيش كل المدن في هذا العالم، قبل أن يُخَيِّمَ مشهدُ الطغاة والطغيان على ربوعها:

مجموعات من فيالق (الجيش الوطني!), لوطنِ جَلَّ عنه الجيوش الفرنسية المحتلة منذ عشرات السنين، يتراهنون ببنادقهم الآلية، على (إسقاط) طفل سوري عمره أربع سنوات، يلعب على شرفة بيته في الطابق الرابع!..

أو: كتيبة من سرايا (الدفاع!)، تقتسم مركزاً للعجزة المكتوفين، فتقذفهم برشاشات النفط حتى تتبلل ثيابهم ولاحهم به، ثم تشعل في أجسادهم النيران، لترحقوهم وهم أحياء، فيصرخون ويستغيثون، بينما يقف جنود الصمود والتصدي! (الممانعة

أو: فصيلة من (حُماة الديار)!، تُدَاهِمُ مُشَفَّيَ لضحايا العدوان (الوطنيّ!)، فتقتل الجرحي والمرضى والأطباء والممرّضات وعمّال النظافة والموظّفين والزوار، ثم تنقل جثثهم المقطّعة، بسيارات نقل النفايات، إلى مقابر جماعيّة مجهولة!!.

أو: دبابة (صامدة) تسحق بجنازيرها، جموع المعتقلين، المجمّعين في زاوية أحد الشوارع، فتناثر على الجنازير قطع الأرجل

أو: قطعة عسكرية من جيش (تحرير الجولان!)، تُدمر بقذائف مدفعيتها وراجمات صواريخها، ثماني مسجداً وأربعة كنائس ونصف أحياء المدينة.. فهـة، ؤـوس، ؤـادها وساكنـها..

أو: عبّوة متفجّرة زرعتها الوحدات (الخاصة!)، في طريق أطفالٍ جائعين، فانفجرت بهم، ليتساقطوا مضمّحين بالدم والدموع والخوف والجوع!..

وهكذا، كانت حصيلة (البطولة الوطنية)! مئتي ألف شهيدٍ وجريحٍ ومقتولٍ ومهجّرٍ حمويٍّ.. من النساء والرجال والأطفال والعجائز والشيوخ، وما يزال القتلة المجرمون يأكلون ويشربون ويتنفسون ويملأون الأرضَ جُوراً وفساداً وفجوراً، وما يزال الضمير البشري مُجَمداً في ثلاثة التجاهل والتواطؤ والصفقات المشبوهة وعدم المبالاة!..

ثلاثون سنةً مرّت، مظلمةً كظلمة قلوب المجرمين الحاقدِين الذين ارتكبواها، وما تزال المجزرة.. الجريمة.. المأساة.. ماثلةً في حدقات العيون، وماقي التكالي، ومُقلِّ الآباء والأمهات، وذاكرة شعبٍ عربيٍ مسلمٍ أصيل، صادرت إرادته وحرّيته حفنةً من اللصوص القاتلة الطائفيين،وها هو ذا مشهد العذاب يتكرر يومياً على مدار الساعة في ريوس الشام الأبية الجريحة!.. لو كانت المبادئ النظيفة وروح العدالة تحكمَ بمن يهمهم أمر شعبٍ عربيٍ مسلمٍ، وبضمائر الْعُرْبَانِ والطرشانِ والعميانِ والقطعان.. فتدفعهم للوقوف موقفاً حُرّاً عزيزاً كريماً أصيلاً تجاه قتلة (حماة) في عام 1982م.. لما ارتكب (شارون) وزبانيته جرائم (صبرا وشاتيلا)، ولما وصل جيش الرعاعيَّات الصهاينة إلى (بيروت)، ولما صارت الجمهورية السورية وراثية، ولما تجرأً أبطال (الحرية والتحديث والانفتاح!) اليوم، على أحرار سورية، ولما فكر مجرم فاشل كالصهيوني (أولمرت) أو نتنياهو وأمثالهما، باستباحة (غزة هاشم)، ولما تطاول ليلُ الشام حتى اليوم، لِتُخَيِّمَ حُلْكُتُهُ على العراق وفلسطين ولبنان.. بل على العرب.. كل العرب!..

في حماة ومساتها.. سقط الطغاة المجرمون.. وسقط معهم الطفيليون والوصوليون، من أرباع المتفقين وتجار المبادئ والدين، ومن سماسترة القومجيّين ومُغفلّي وفود الرقص على جراحتنا، ومن أصحاب العمامات الزائفة وألسنة السوء الامرة بمنكر الطغيان، ومن مذاخي الطغاة وكتبة البغي وعيبي الأرباب المزيفين، الذين ما فتئوا ببيعون الوطنية والتنظير الفارغ في الصحف الصفراء وقنوات النفاق، فاقدين بوصلة الشرف والدين والمعيار الخلقي والإسلامي الحقيقي!..

لقد انتهك طغاة الشام في حماة، كلَّ ما يخطر على قلبِ بشرٍ من حقوق الإنسان.. فقتلوا، ودمروا، وانتهكوا الأعراض، وعذّبوا، وداهموا البيوت الآمنة، وسرقوا، ونهبوا، واعتدوا على المساجد والكنائس والمقدسات، وهجروا الأبرياء، وجوّعوا الأطفال، وأرهبوا النساء، وانتهكوا الكرامة الإنسانية، وسجّلوا، وذبحوا على الهوية، وصادروا الأرزاق.. كل ذلك وغيره لم يحرّك ضمير البشرية في القرن العشرين.. ولا في القرن الحادي والعشرين!..

لم يقتل الأعداء المجرمون السفاحون: شارون وباراك ودایان وموفاز وبيغن ووايزمن وبيريز.. وأمثالهم من عناة المجرمين.. لم يقتلوا مجتمعين- مثلَ ما قتله نظام (الممانعة) وزبانيته، من أبناء حماة والشعب السوري واللبناني والعربي والفلسطيني..

ولم يدمّروا مثلَ ما دمّرَ هذا النظام في حماة والمحافظات السورية، ولم يتمكّنوا من العبث بكرامة السوريين ووطنهم وحرّيّتهم كما عبث ويعبث هؤلاء الحكام الدكتاتوريون..

ولم يذق الأطفال والنساء والطاغعون في السنِّ من أولئك الصهاينة ما ذاقوه من نظام العار الطائفي..

ولم يُعذّب أبناء سوريا كما عذّبهم المتسطّلون عليها في سجون العار.. لا، لم يجرؤ شذاذ الآفاق الصهاينة على أهل الشام، كما يتجّرّأ حكامها عليهم اليوم، إخفاءً وتهجيراً ونهباً وتدميراً وانتهاكاً للمقدسات!..

منذ ثلاثين عاماً، ما تزال المشاهد حيّةً في الذاكرة المتوارثة عبر الأجيال، لأنَّه ما يزال يُقرَّفَ المزيد من القمع والاضطهاد والاستهتار بحقوق الإنسان السوري، فكانت عقدة (حماة)، منعقدةً على الحبل نفسه الذي يصل إلى (صيّدنايا)، مروراً بتدمر ومشاركة حلب وجسر الشغور.. وأخواتها.. ثم في كل المدن والبلدات السورية التي تنزف اليوم فتهرُّ فيها شلالات الدم!..

ستبقى مجرة حماة، المرتكبة في الفترة الواقعة ما بين تاريخ (2/3/1982م) إلى (4/3/1982م).. وصمة عارٍ في جبين الإنسانية، ومصدر قلقٍ في عقول الشرفاء، ودليل اندحارٍ لكل المبادئ الإنسانية التي يتواتأ أصحابها اليوم على شعب الشام المقاوم الكريم.. وتأكيداً ثابتاً على أنَّ الحقوقَ تُنتَزَعَ انتزاعاً.. وأبداً.. أبداً، لا تُمنَح!..